

## تسويق المنتجات الزراعية بين مدن العراق القديم

د. هيفاء أحمد عبد  
كلية الآثار - جامعة الموصل

أ.د. حسين ظاهر حمود  
كلية الآثار - جامعة الموصل

### الملخص

ان دراسة موضوع تسويق المنتجات الزراعية يعد مؤشراً لتقويم جانب مهم من اقتصاد العراق القديم. إذ يتضح من دراسة مضامين النصوص المسمارية ان البنية الاقتصادية كانت قائمة على الانتاج الزراعي آنذاك. وان نشاط حركة التسويق كان يعتمد على جملة من العوامل الأساسية منها ما يرتبط بنوعية المنتجات الزراعية وكميات الانتاج الفائض والنقل الجيد، وحرية التبادل التجاري، إلى جانب تنظيم تعريفات الاسعار وثباتها بعامه. كما كان للظروف البيئية الملائمة وتنظيم الملوك وحكام المدن لشؤون التسويق في العراق القديم، فضلاً عن دور مؤسسة المعبد في عمليات التبادل التجاري.

## The Agricultural Products Marketing in Ancient Iraqi Cities

### Abstract

Tackling the topic of agricultural products marketing at the ancient ages refers to the evaluation of economy in Iraq at that time. Throughout the study of cuneiform texts, it is clear that structure of Iraqi economy was based on the agricultural production. The marketing activity depends on a group of essential factors, like the ones that are related to the type of agricultural products, the quantities of surplus products, the perfect transporting, and freedom exchanging and fixed tariffs for prices, the adequate environmental conditions and the marketing organized by kings and rulers of the Iraqi cities at that time and basically related to the foundation of temple which was responsible for all transactions and the processes of trading exchange.

**المقدمة:**

يعد موضوع التسويق من الاهمية بمكان في نمو اقتصاد البلدان وتطوره قديماً وحديثاً فهو يرتبط بدرجة اساس بتلبية متطلبات المستهلكين ومديات اقبالهم على شراء المنتجات التي يتم تسويقها وتعود أقدم عمليات التسويق في التاريخ القديم الى نحو ثمانية الاف سنة ماضية عند نشوء التجمعات السكانية الاولى للقرى التي عاشوا فيها وزرعوا أنواعاً من المنتجات الزراعية، بعد تحقيقهم الاكتفاء الذاتي قاموا باستخدام فائض الانتاج لمبادلتته وتسويقه الى القرى المجاورة لسد حاجتهم من المنتجات الاخرى، ثم تطورت عمليات التسويق (التجهيز والتصريف) باطراد مع نمو القرى وازدياد السكان وظهور طلائع المدن حتى اصبحت نشاطات حركة التسويق منظمة ويتم الاشراف عليها لتحقيق الفائدة لجميع العاملين في شؤونها بين مدن العراق القديم.

**تسويق المنتجات الزراعية بين مدن العراق القديم**

لعل من بين أهم الموضوعات التي يتم بموجبها تقييم اقتصاد البلدان القديمة والحديثة ومديات تطورها ما يخص التسويق ونشاط حركته الذي كان ولازال له أهمية أيضاً في نمو تلك الاقتصاديات ومنها تحديداً أعمال تسويق المنتجات الزراعية بين المدن القديمة. أن مفهوم التسويق بين مدن العراق القديمة كان يعتمد اساساً على نشاط نقل المنتجات الزراعية وتجهيزها وتصريفها بين منطقة واخرى، وتحقيق ذلك يتوقف على جملة من العوامل التي من شأنها دعم حركة التسويق منها ما يرتبط بنوعية المنتجات الزراعية من حيث الجودة فضلاً عن أنواع تلك المنتجات وبما كان يحقق سد الحاجة اليها من متطلبات السكان فضلاً عن وسائل تصريف تلك المنتجات وبما يحقق الفائدة للمزارعين أو المستثمرين عند نقلها لتصريفها في اسواق المدن القديمة.

دون شك فإن نسب الأرباح المتحققة للمزارعين والمتاجرين بالمنتجات الزراعية ونشاط عمليات المتاجرة بها في اسواقها كانت تعتمد على المتطلبات الحياتية ايضاً لسكان المدن والاقبال على تلك المنتجات فاذا كانت الحاجة متزايدة لشرائها يتطلب بلوغ مستوى مناسب من الانتاج أو تحقيق نسب من الفائض في الانتاج لدعم الطلب والحيلولة دون التجاوز أو رفع الاسعار المعروضة في السوق؛ لأن ذلك من شأنه ان يسبب نوعاً من الإرباك في اقتصاد السوق.

ومن الطبيعي ان تحقيق المستويات المطلوبة من فائض الانتاج كانت ترتبط بظروف البيئة ومديات تعرضها الى الحالات الطارئة من الفيضانات أو الغزو أو الحرائق أو تعرض الاراضي الزراعية الى أسراب الجراد التي كانت تلتهم مساحات شاسعة أمام عجز السكان والمزارعين منهم بخاصة في مواجهة أخطارها في العصور القديمة.

الى ذلك من الضروري الإشارة الى مديات توافر المياه فيما يخص الاراضي المعتمدة على الأمطار في الأقسام الشمالية من العراق أو التي كانت تعتمد على السقي عبر مشاريع الري الاصطناعي التي كانت تقام في الأقسام الوسطى والجنوبية من البلاد لزراعة انواع من المحاصيل الزراعية<sup>(١)</sup>.

كذلك يمكن اضافة عامل النقل الذي كان ولازال له أثره الواضح في بلوغ أسواق المدن القديمة وتصريف المنتجات الزراعية فيها سواء منها النقل النهري عن طريق القوارب والسفن أو بوساطة قوافل الحمير في نقل حمولات المنتجات وتسويقها الى جهاتها المقصودة<sup>(٢)</sup>.

وتشير الدلائل الاثرية المتيسرة الى زراعة أصناف من الحبوب في العراق ومنذ عصور مبكرة من تأريخه وتحسين نوعية المنتجات لأغراض التسويق في التجمعات الزراعية الأولى بعد ظهور الحياة المستقرة في القرى وازدياد السكان فيها قبل أكثر من عشرة الاف سنة مضت<sup>(٣)</sup>.

فيما اصطلح على تسميته بالعصر الحجري الحديث وما تبع بعده من تحولات اقتصادية واجتماعية مهمة في تطور مسيرة المجتمع البشري القديم.

وقد ربط المتخصصون في دراسة الاثار والحضارات القديمة ذلك التحول بممارسة الاقتصاد الانتاجي الذي اعتمد أساسا على زراعة أنواع من منتجات الحبوب وتسويقها بين المجاميع في القرى الأولى<sup>(٤)</sup>، وبمرور الزمن زاد عدد السكان في تلك القرى ثم تبعه زيادة حاجة الأفراد الى توفير الكميات المطلوبة من المنتجات الزراعية، فقد دلّت الاثار المادية المكتشفة في المستوطنات الزراعية القديمة التي تعود الى حدود الالف التاسع - الثامن ق.م عن ممارسة السكان نقل وتسويق أنواع من منتجاتهم الزراعية الفائضة فيما بينها، وكان ذلك يتم بالتبادل او ما يسمى بالمقايضة عبر تبادل سلعة او منتج بمنتج آخر<sup>(٥)</sup>.

فقد عثر المنقبون على أنواع من الحبوب التي تحتوي على نسبة عالية من البروتين مثل بذور الكتان والعدس والبازلاء في موقع ام الدباغية (قرب الحضر) والذي يعود تاريخه الى ما يقارب من ٦٠٠٠ سنة ق. م ومن المعروف ان هذه البذور لا يمكن ان تنمو في النطاق المذكور؛ لأنه يقع في سهل جاف بينما تحتاج نمو تلك البذور الى عمليات إرواء مستمرة، كما ان طوبوغرافية الموقع لا تسمح باستخدام تقنية الري فيها وان امكانية سقي تلك البذور كان بعيداً في ذلك الوقت ايضا<sup>(٦)</sup>، مما يؤشر الى ان هذه البذور تم تسويقها من موقع زراعي آخر استخدم فيه تقنية الارواء كمستوطنة تل الصوان قرب سامراء<sup>(٧)</sup>، وترى المنقبة Diana Kirkbrid بهذا الخصوص ان سكان موقع ام الدباغية قد حصلوا على تلك الحبوب من خلال مبادلتها بالجلود، جلود الحيوانات التي اصطادوها في مناطقهم<sup>(٨)</sup>. كذلك فإن هناك من الادلة التي تؤشر الى

تسويق المنتجات الزراعية بين مواقع تل الصوان وجرمو وحسونة وشمشارة بمنتجات الحبوب الفائضة والآلات والادوات الزراعية<sup>(٩)</sup>.

ومن العصور اللاحقة هناك من المؤشرات على تسويق المنتجات بين مواقع العبيد والوركاء في جنوب العراق وشماله<sup>(١٠)</sup>.

الى ذلك تزداد معرفتنا عن حركة التسويق وعملياتها المختلفة باطراد في العصور التاريخية وعندما نصل في متابعتنا الى عصر فجر السلالات السومرية (حدود ٢٨٠٠ - ٢٤٠٠ ق م) نتلمس من مضامين بعض النصوص المسمارية سيطرة المعابد على الشؤون الزراعية تحديدا<sup>(١١)</sup>، فضلا عن حصول جملة من التطورات في مختلف الشؤون الاقتصادية ومنها في اتساع مساحات الاراضي الزراعية وتنوع المحاصيل فضلا عن تقدم الاساليب الزراعية وادواتها مما ساعد في زيادة الانتاج وتحقيق الفائض منها لأغراض التسويق كما تعكس تلك النصوص تفاصيل حركة المبادلات بين مدن العراق القديم، فقد كانت السلالات الحاكمة في كل مدينة سومرية تشرف على عمليات التسويق وتنظيمها<sup>(١٢)</sup>.

ولم يستمر هذا النمط الاقتصادي في العصور اللاحقة بل حدثت فيه بعض التطورات في شؤون بيع الاراضي بالمقارنة مع العصر السابق الذي كان بيع الاراضي فيه محرماً وكانت الاراضي جميعها بيد المعبد فضلاً عن تنوع المحاصيل الزراعية اكثر وما صاحبه من نشاط إلى جانب مشاريع الري وكري الأنهار لسقي المزروعات فضلا عن حرية مبادلة المنتجات من قبل المزارعين وتسويق منتجاتهم الزراعية وبما يحقق لهم الارباح المرجوة في إدارة شؤونهم الاقتصادية<sup>(١٣)</sup>.

وبذلك اختفت كثير من القيود التي كانت تحد نشاط الافراد مثلما كان عليه الحال في العصر السومري القديم عندما كان المعبد تحديداً يدير الشؤون الاقتصادية تحديداً من قبل المعابد، الا ان هذا التوجه قد تغير فيما بعد بحلول العصر الاكدي ومن ثم العصور التالية وساد نوع من الحرية في إدارة الشؤون الاقتصادية من قبل الافراد والقصور فضلا عن اعطاء الحرية للأفراد والمزارعين الذين كانت لهم اراضيهم الخاصة ولهم حق التصرف بها وزراعتها بأنواع من المنتجات الزراعية وتسويقها<sup>(١٤)</sup>.

هذا ويتضح تنظيم شؤون الحياة الاقتصادية في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ - ١٥٩٥ ق. م) بوضوح عن طريق دراسة مضامين النصوص المسمارية، اذ كان لذلك التنظيم انعكاساته الايجابية على نشاط حركة التسويق كذلك كان للقوانين الصادرة تأثيرها الواضح في تنظيم شؤون التجارة والتجار وثبتت تعريفات اسعار المنتجات الزراعية الاساسية في الحياة اليومية وكما يتضح ذلك من قانون اشنونا<sup>(١٥)</sup>.

كما يفهم من مضامين مواد قانون حمورابي تنظيم شؤون الزراعة والمحافظة على تطويرها ودعم الانتاج الزراعي وفسح المجال أمام مبادرات الأفراد لتنظيم الانتاج الزراعي وتكثيفه وتوسيع نطاق حركة التسويق وتوفير جميع مستلزمات نشاطها<sup>(١٦)</sup>.

لقد كان تسويق المنتجات الزراعية يساهم في كل مدينة من مدن العراق القديم برخائها وتحقيق نوع من التكامل الاقتصادي فيها نتيجة سد الحاجة المحلية في كل مدينة من تلك المدن، ومن ثم تحقيق الفوائد المالية للعاملين فيها جميعا<sup>(١٧)</sup>.

الى ذلك كان من أهم عوامل نشاط حركة التسويق بين مدن العراق القديم تنوع المنتجات الزراعية، فقد تميزت كل مدينة أو منطقة بإنتاج او تسويق نوع معين من المحاصيل اليها و من ثم ساهم في اقبال سكان كل مدينة على شرائها؛ لأنها كانت ذات اهمية كبيرة في حياتهم اليومية ويمكن القول إنه كان لتنوع خصائص بيئة العراق الطبيعية صلة مباشرة بتنوع انتاج المحاصيل الزراعية، فكما هو معروف ان بيئة العراق تتألف من اربعة مناطق طبيعية رئيسة هي: منطقة السهل الرسوبي والمنطقة المتموجة والمنطقة الجبلية والمنطقة الصحراوية، وبذلك فإن مظاهر البيئة الطبيعية تتباين في ارض العراق تتباينا كبيرا من حيث التضاريس كما تتباين من حيث ظروف المناخ السائدة في كل منها من حيث تفاوت درجات الحرارة والبرودة وكميات الامطار التي تهطل عليها وتغييرها الفصلي اثناء العام<sup>(١٨)</sup>. ومن دون شك كان لهذا التباين أثره الواضح في حياة السكان وتنوع نشاطاتهم الزراعية اذ نتج عنه نوع من التفاوت في كمية ونوعية المنتجات الزراعية مما كان له أثره الفاعل في تهيئة الظروف الملائمة لقيام السكان بتصريف منتجاتهم الزراعية ومن ثم نشاط حركة التسويق بين المدن في العراق القديم.

ومما تجدر الاشارة اليه انه ورد في بعض النصوص المسمارية بعض المعلومات ذات العلاقة بفعاليات التسويق وحسابات موازن الفضة من عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٤ ق. م) وقد كشفت هذه النصوص في مدينة أوما، وتعد على قدر من الاهمية في دراسة شؤون التسويق وتقسيم هذه المجموعة من النصوص الى ثلاثة أقسام:

- نصوص تسمى برأس المال (assist) وتعرف باللغة السومرية Sag.níg.ga.ra.kam/ak
- نصوص النفقات (Expenditure) واشير لها بالسومرية zi.ga.am أو بالمصطلح ša.bi.ta
- نصوص تعرف بالمصطلح السومري lá.ni ويمكن التعبير عنها بمصطلح الرصيد المتبقي<sup>(١٩)</sup>.

ان هذه النصوص تعدّ على درجة من الاهمية في دراسة حسابات الموازنة في مدينة اوما وحركة التسويق فيها، اذ يمكن ان يستدل من تلك النصوص على طبيعة المبادلات بين المستثمرين والتجار ووصول البضائع الى الاسواق بشكل مباشر من المنتجين أو عن طريق

الوسطاء في الغالب إذ كانوا المسؤولين عن الصرف والخبز، كما يفهم من مضامين بعض تلك النصوص عن وجود أسفار تجارية لنقل المنتجات الزراعية وقد أشير في نص منها الى دفع (٢٥٤١) سيلا من الشعير كأجرة لقارب التجار<sup>(٢٠)</sup>.

يمكن تقسيم اهم المنتجات الزراعية التي كانت عرضة للتسويق بين مدن العراق القديم في الآتي:  
أ- الحبوب: وعرفت باللغة السومرية ŠE والاكديية بمصطلح šum وكانت من بين اهم المنتجات الزراعية التي تم تسويقها بين مدن العراق القديم؛ لأنها ولازالت تمثل الغذاء الرئيس للسكان في حياتهم اليومية ومنها بشكل خاص القمح والشعير<sup>(٢١)</sup>.

وقد اشتهرت ارض العراق في عصوره كافة بزراعة هذين المنتوجين نتيجة لخصوبة تربته ولاسيما القسم الجنوبي من العراق الذي عرف بارض السواد لكثرة خيراته وأصبح هذا القسم مضرب الامثال عند المؤرخين الاغريق، فقد ذكر عن هيروودتس الذي عاش في القرن الخامس ق. م ان المحصول المنتج كان يقدر بنحو مائتي ضعف كما اشار سترابون الذي عاش في القرن الاول ان المنتوج فيها يقدر بـ ٣٠٠ ضعف ومن دون شك فإن هذه الاحصاءات تؤشر على الرغم من مبالغتها الى مديات الانتاج الزراعي في العراق لسعة مساحة الاراضي الزراعية فيه<sup>(٢٢)</sup>.

لقد كانت حركة التسويق نشيطه بين مدن العراق القديم<sup>(٢٣)</sup>، في مبادلة منتوج الشعير والقمح ولاسيما بين مدن سبار واور وبابل ولارسا وماري واشور وكيش<sup>(٢٤)</sup>، وتؤشر مضامين النصوص المسمارية الى تسويق الحبوب التي كانت تنقل بشكل رئيس بوساطة السفن<sup>(٢٥)</sup>، على نهري الفرات ودجلة كما كانت حركة التسويق للحبوب نشيطة بين ماري واشور وكرانا (تل الرماح) بوساطة القوافل البرية<sup>(٢٦)</sup>.

وقد ذكر في العديد من النصوص المسمارية عقود شراء كميات الحبوب ومنها الشعير ونقلها الى العاصمة بابل، ومن ذلك ورد في عقد تسويق من عهد الملك سمسوايلونا (١٧٤٩) \_ ١٧١٢ ق ؛ م) الاتي:

$\frac{1}{3}$  ma-na  $\frac{1}{2}$  gín 20še (ku-babbar) ٢٠ حبة من الفضة،  $\frac{1}{3}$  ma-na  $\frac{1}{2}$  gín 20še (ku-babbar) ٦ شقيقات  
قيمة ٢ كور، ١ بي، ٤ سوتو شعير للشيفل i-na 2 gur 1 (p I) 4 (bán) se- ta  
٦٢ كوراً، ٣ سوتو شعير 62 (gur) 3 (ba) še-gur –sag-bi  
٣٣ كوراً، ١ بي شعير، انها مجمل حاصل العاصمة 33(gur)1 (pI)še-gur sag-bi  
١١ كوراً و ٢ سوتو انها فائدة (ريح) 11(gur)2(bán)máš-b [ i ]  
في شهر تموز، اليوم العشرين itu šu-numun-a u<sub>4</sub> 20 – (kam)

في السنة التي حفر فيها قناة<sup>(٢٧)</sup> mu i7 na-ga-ab-nu-uh-ši nuhsi-nagab  
 كما ورد في عقد آخر يخص استلام حبوب (الشعير) شحنت بالسفن الى بابل الاتي:  
 ٣٠٠ كور شعير تم غربلتها (تنظيفها) 300 še –gur na-ah-lum  
 ١ كور و ٢ بي و ٣ سوتو بالمكيال الكبير 1 (gur) 2 (p1) 3 (bán) gur giš<sup>šID-</sup>gal  
 باركستو (وحدة كيل) ٧٢ قا 27 sila 1 (pI) 1(bán) 27 sila  
 وفق المكيال الأساس ši-iq me-še-qí-im ka- ba-ri  
 قسم من الشعير – نملة الحقل خلف (?) sa se gun a –sa egir (or NE)  
 Ša pa –hu –ú pa -huu  
 يستحق الدفع؟) ... الى بابل D1 (or ki) UDTU.UD.KA.DINGIR.RA<sup>Ki</sup>  
 بأشراف مردوك ناصر šabra<sup>d</sup>marduk-na-sir  
 في ميناء السفن على طول جانب رصيف ma-ni-dub kar kA-DINGIR.RA<sup>ki(٢٨)</sup>  
 الميناء ببابل.

الى ذلك يفهم من مضمون رسالة ارسلها شخص يدعى ياسم سمو yasim –samu الى  
 الملك زمري ليم zimri-lim (١٧٧٩ – ١٧٦١ ق. م) عن معاناة أطراف مملكة ماري أحيانا من  
 قلة الحبوب لذا تم تبليغه فيها عن تسويق كمية كبيرة من الشعير كانت في طريقها الى ماري وان  
 نقل هذه الكميات احتاج الى عشرة قوارب وستين رجلا<sup>(٢٩)</sup>، كما ورد في نص آخر عن نقل احد  
 الوكلاء wakil tamkari ١٠٠٠ كور من الشعير الى بابل وفي رسالة اخرى عن تسويق  
 ١.٨٠٠ كور من الشعير وفي رسالة ثالثة ذكر عن تسويق ٤٥٠ كوراً من الحبوب ودفع  
 مستحقاتها من الضرائب لنقلها الى بابل<sup>(٣٠)</sup>.

اما القمح فقد كان له اهمية قصوى في حياة السكان، وكانت زراعته بالمقارنة مع الشعير قليلة  
 لذا انتشرت زراعة الشعير في القسم الجنوبي من العراق اكثر من زراعة القمح لظهور مشكلة  
 ملوحة التربة في الجنوب، اذ ان زراعة الشعير لا تحتاج الى عناية كبيرة كما الحال مع زراعة  
 القمح، كذلك فإن تعرض البلاد في بعض الاحيان الى ظروف مناخية قاسية من ارتفاع درجات  
 الحرارة وشدة الجفاف منها في شمال العراق سببا في اللجوء الى زراعة الشعير أكثر من القمح  
 لذا تتكرر الإشارة في النصوص الى الشعير اكثر من القمح في حركة التسويق من تجهيز  
 وتوزيع وشراء<sup>(٣١)</sup>، إذ إن أسعار الشعير دائما كانت ارخص من القمح كما هي الحال في الوقت  
 الحاضر كما كانت اسعاره متذبذبة من فصل لآخر وكان سعره منخفضاً أكثر في وقت  
 حصاده<sup>(٣٢)</sup> وهناك العديد من النصوص اشير فيها الى الطلب عليه بين الأفراد والحاجة الى  
 شرائه، ومن ذلك ورد في نص رسالة ارسلها الملك شمسي ادد الاول (١٨١٤\_١٧٨٢ ق م) الى  
 ابنه يسمخ ادد:

" ان يذهب على الدوام للإشراف على تنظيم عمليات نقل القمح " (٣٣) كذلك ذكر في نص رسالة أخرى مرسله من شخص يدعى اويل - شمش الى أبيه عن شراء الكميات المطلوبة من القمح (٣٤).

لقد كانت شؤون التجارة مزدهرة في بلاد بابل وكانت السفن تأتي اليها من مختلف الأرجاء والمدن لتستقر في ميناء بابل الذي ثبت على رصيفها اسعار جميع المنتجات الزراعية على شكل تعريفات كما كانت الحال في أرصفة موانئ نهر (نيبور) وسبار، فقد ورد في احد نصوص الرسائل عن نقل مواد متنوعة الى بابل بوساطة السفن من المدن الشمالية ومنها ورد عن ارسال ١٠ أكوار من الطحين بالسفن فضلا عن تسويق شحنات من الحبوب ومنها القمح الى بابل (٣٥).

ولعل من بين اهم الرسائل التي يمكن الاشارة بهذا الصدد عن حاجة مدينة اور الماسة الى الحبوب، ولاسيما الشعير نص الرسالة التي تتحدث عن قيام الملك ابي سين (٢٠٢٩) - (٢٠٠٦ ق م) آخر ملوك سلالة اور الثالثة بإصدار امر الى اشبي ايرا الذي كان احد المسؤولين العاملين في بلاطه لشراء كميات من الشعير من مدينتي آيسن وكزالو وتسويقها الى العاصمة اور بحسب نص الرسالة ذكراً اشبي ايرا في مقدمة نص الرسالة بناءً على امر سيده ابي سين فانه ذهب الى مدينة كزالو في سومر لشراء الشعير ودفع ثمنه بمبلغ قدره (٢٠) وزنة من الفضة ثمناً لشراء (١٤٤,٠٠٠) كور من الشعير وكان قد اشترى كل كورين من الشعير بسعر شيقل واحد من الفضة أي كل كور واحد بنصف شيقل..... وقد طلب اشبي ايرا من الملك ابي سين بارسال (٦٠٠) قارب حمولة كل منها ١٢٠ كور (٣٦)، الا ان وقائع الاحداث فيما بعد بينت ان كميات الحبوب لم تصل الى مدينة اور وكان يعاني سكانها من مجاعة شديدة تسببت في النهاية بسقوطها.

ومما يرتبط بموضوع الحبوب فقد عرف العراقيون القدماء زراعة الذرة كما عرفوا زراعة العدس والحمص والماش والدخن منذ عصور ما قبل التاريخ اما الرز فقد دخلت زراعته الى العراق في القرن الخامس قبل الميلاد (٣٧).

ب- التمور: لقد شكل النخيل ومنتجاتها مادة غذائية رئيسة للعراقيين قديماً. كما كانت مادة صنعت منها كثير من المواد حتى قيل في النخلة: " انها تجهز السكان في العراق بكل احتياجاتهم من الغذاء ما عدا الحبوب ". وقيل ايضاً: " انها خبز البلاد ومادة الحياة " (٣٨) وبهذا الصدد ذكر في نص مسماري عن وجود ٣٦٥ فائدة للنخلة (٣٩).

وقد اشتهرت منطقة السهل الرسوبي بكثرة زراعة النخيل gisimmar مما ساعد في نموها وكثرة عدد أشجارها ملائمة البيئة الطبيعية من توفر المياه والتربة الخصبة على ضفاف الأنهار والتمر استخدم مادة غذائية ودخل في صناعة الدبس والخل (٤٠)، واستخدم ايضاً لصناعة الخمر اما نوى التمر فقد استخدم علفاً للحيوانات بعد جرشه وسحقه، اما اجزاء شجرة النخلة

الآخري مثل سعفها وليفها وجذوعها فقد استخدمت في صناعة الحبال وصناعة الاثاث والحصران وفي اعمال البناء والتسقيف كما استخدمت منتجات النخيل في معالجة الامراض<sup>(٤١)</sup>. الى ذلك احتفظ هذا المنتج بأهميته بين المنتجات الزراعية الآخري اذ يمتاز محصول التمر بإمكانية حفظه وخرنه ونقله لذا كانت عمليات تسويقه بين مدن العراق القديم ولازال الى درجة من الأهمية وتحقق المتاجرة بها ارباحاً جيدة<sup>(٤٢)</sup>.

لقد كانت النخيل من أهم أشجار البساتين وقد كثر زراعتها في الجنوب وكانت محور الحياة الاقتصادية لفوائدها التي اشير الى بعضها، اما اسعار التمور فكانت تختلف باختلاف أنواعها إلا أن أسعارها في موعد قطافها كانت تقل عن المواسم الأخرى<sup>(٤٣)</sup>.

لقد ورد في العديد من النصوص اشارت الى تسويق كميات التمور، ومن ذلك ورد في نص من عهد ريم سين (١٨٢٢\_ ١٧٦٣ ق م) من العصر البابلي القديم اشير فيه الى كميات التمور لمنتجة من احد البساتين:

(1) 7 (gur) 1 (b) gur ú – hi –in zú- lum-bi )

٧- كور ١ بي تمور نصف ناضجة التي (كمية الـ) تمور جافة

٨- كور ١ بي (أي) النصف gur i-na(?) šu-ri-a-bi 8(gur) 3 (b.)

بستان مثمر شمش ماگر ni-gar gis kiki<sup>md</sup>šamaš-ma(gir)

من شمش ماكر ki dsamas-ma-gir

مالك الثمر (المنتوج) lugal<sup>gis</sup> kiri<sub>6</sub>-ke<sub>4</sub>

بيرخوم mpi-ir-hu-um

التي استأجرها íb-ta-è

في الثاني من شهر itu<sup>gis</sup> apin –du8 – a warah samua

وسوف يسلمها 8 أكوار و ٣ بي تمور<sup>(٤٤)</sup> 8 (gur) 3 (b.)gur zú-lum i-ag-e

كذلك ورد في العديد من النصوص عن تسويق كميات من التمور على ارضة المدن القديمة بين ماري وسبار وبابل واشور ونفر<sup>(٤٥)</sup>، ففي احد النصوص ذكر عن ارسال الملك حمورابي بحدود ٣٦٠٠ كور من التمور من بابل اذ قام موظفوا الملك بالاشراف على شحن هذه الكمية على السفن<sup>(٤٦)</sup>، وبطبيعة الحال كانت الضرائب تجمع من التجار عن المنتجات الزراعية ومنها التمور التي كان يتم تسويقها في جميع مدن العراق القديم و في مدينة بابل تحديدا وكان يشرف على جمعها موظف اطلق عليه<sup>(٤٧)</sup> šatammu.

الزيوت: ورد في النصوص المسمارية عن استخدام العراقيين القدماء انواعاً عدة من الزيوت النباتية لحاجة السكان المتزايدة لها في مطابخ القصور والمعابد والبيوت العامة لاعداد الاطعمة

كما استخدمت لتزييت ومسح المواشير للاسطوانات الفخارية وللانارة ايضاً<sup>(٤٨)</sup>، كذلك استخدمت الزيوت النباتية بانواعها وحسب ما ورد في مضامين النصوص لمعالجة العديد من الامراض<sup>(٤٩)</sup> وقد اطلق على كلمة الزيت في السومرية Igis وفي اللغة الاكدية تسمية samnu ونظراً لأهمية الزيوت فقد عمل المشرع العراقي القديم على تثبيت اسعاره في السوق والحيلولة دون رفعه في مملكة اشنونا، ويتضح ذلك في قانون اشنونا إذ نقرأ:

" ١ كور من الحبوب بشيقل واحد من الفضة

٣ قا زيت نقي بشيقل واحد من الفضة

١ سوتو و ٢ قا من زيت السمسم بشيقل واحد من الفضة

١ سوتو و ٥ قا من شحم الخنزير بشيقل واحد من الفضة

وفي عهد الملك سين كاشد ملك الوركاء أصدر بدوره تعريفة بأسعار المواد الزراعية المهمة ورد فيها:

٣ كور من الحبوب بشيقل واحد من الفضة

٣ قا من الزيت بشيقل واحد من الفضة

٢ اصناف الصوف بشيقل واحد من الفضة

كما اصدر الملك شمشي أدد الأول قائمة بالأسعار ورد في نصوصه ان الأسعار في بلاد اشور كانت كالآتي:

٢ كور من الحبوب بشيقل واحد من الفضة<sup>(٥٠)</sup>

٢ قا من الزيت بشيقل واحد من الفضة

ومن أنواع الزيوت التي ذكرت في النصوص زيت السمسم والسمسم من المحاصيل الزراعية المهمة في بلاد الرافدين وكانت زراعتها مرغوبة لمقاومتها الظروف المناخية الجافة ودرجات الحرارة العالية<sup>(٥١)</sup>.

وعرف معنى السمسم في السومرية بـ حب شجرة الزيت وكان سعره غالباً وقليل الزراعة في شمال العراق ثم تحسنت زراعته في العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق م) وكانت قيمته في عهد اشور بان ابلي (اشور بانيبال ٦٦٨ \_ ٦٢٦ ق م) أربعة أصناف قيمة الحبوب وفي الغالب كان يسوق الى مدن الشمال من مدن الجنوب<sup>(٥٢)</sup>.

كذلك عرف الاشوريون خصائص الزيتون من البلدان المجاورة وجلبوه وزرعوه في بلاد اشور لاستخراج الزيت منه، كما وردت في النصوص اسماء نباتات أخرى تستخرج منها الزيوت مثل زيت الكتان واللفت وحب العزيز<sup>(٥٣)</sup>، ومن انواع الزيوت الاخرى زيت القصب والزيت النقي وزيت شجرة البلوط وزيت الصنوبر<sup>(٥٤)</sup> لقد كانت الزيوت توضع في أوعية أو جرار فخارية لحفظها وخبزها ومن ثم تنقل الى جهات التسويق<sup>(٥٥)</sup>.

لقد اشير الى الزيوت والبذور التي كانت تستخرج منها في العديد من النصوص إلا أن مضامين تلك النصوص مقتضية بشكل عام، ومن ذلك ما ورد في نص الرسالة الآتية: " لبيعث أخوتي عفاً بما قيمته منا من الفضة وليأت رسولكم الي سارسل سمسماً أبيض مقبولاً لدى اخوتي " (٥٦).

وفي نص اخر ورد عن ارسال: " لتر واحد من الزيت من الدرجة الاولى للمشعل الموجود أمام الالهة(٥٧).

الفواكه والخضروات: من المنتجات الزراعية المهمة التي تمت زراعتها وتسويقها بين مدن العراق القديم منذ العصور السومرية القديمة اشجار العنب في ضلال النخيل ولم تدخل زراعة العنب الى مدن شمال العراق الا في الاف الاول ق. م، اذ انتشرت زراعته فيما بعد الى درجة في بلاد اشور(٥٨)، مما يؤشر الى ان منتج العنب كان يسوق الى مدن الشمال في العصور السومرية القديمة تبعاً لاحصائية اجراها الباحثون للنصوص المكتشفة في موقع حران (اورفه جنوب تركيا) من العصر الاشوري الحديث تبين ان جميع البساتين كانت تزرع بأشجار العنب وبلغ عدد اشجارها بنحو ٢٩ الف شجرة وفي منطقة اخرى تم احصاء ٢٨٢ الف شجرة عنب واخرى ٤١ ألف شجرة عنب(٥٩).

وقد عُني الاشوريون بزراعة الكروم اذ ورد في احد نصوص سين-اخي-اريبا (سنحاريب ٧٠٤\_ ٦٨١ ق م) عن جلبه عددا من الاشجار التي لم تسبق زراعتها في بلاد اشور وغرسها في حدائقه عند الاراضي السهلية المحيطة فيها، ومما ورد في هذا النص:

" وبقدرة الالهة العظيمة أصبحت الكروم والاعشاب تنمو في تلك الحقول أكثر مما كانت عليه في موطنها الاصلية "

وكانت فائدة العنب الذي عرف بالسومرية GEŠTIN وبالاكديّة Karánu تتركز بالدرجة الاساس لعمل النبيذ فضلا عن كونه من الفواكه التي أحبها سكان العراق القديم لذا اعتنوا بزراعتها (٦٠) وفيما يخص تسويق المشروبات ومنها النبيذ فقد اشير في النصوص الى ان عمليات بيعه كانت تتم بالجرار وليس وفق كميات خاصة بمقاييس السوائل وبشكل عام فإن الجرة الواحدة كانت تحوي نحو ١٠ قا / لتر إذ كانت الوحدة الشائعة لقياس النبيذ في ماري (٦١)، وما ذكر عن النبيذ ينطبق على مشروب الجعة الذي عرف بالاكديّة sikarum بمختلف أنواعه الذي كان يحضر من الشعير في مناطق الارياف وتتهال كميات منها الى حانات المدن في العراق القديم، ويتضح من دراسة بعض النصوص ذات العلاقة ان اصحاب الحانات قد حصلوا على مردودات جيدة من تسويق الجعة وبيعها وقد كانت تجارتها رائجة(٦٢) ومما جاء في أحد النصوص بهذا الخصوص:

" عسى ان يحفظك الاله شمش ويديمك بصحة جيدة. احضر لي العطور والقصب الحلو، واقول لك كذلك انه تنقل بالقارب المشروب الى المدينة سبار اشتر واجلب لي على طول وخذ عشرة شقلات فضة قيمة المشروب والحقني بها الى بابل غدا" (٦٣).

ومن المنتجات الزراعية المهمة الاخرى أنواع من الفواكه. مثل التين اذ اشير في النصوص عن تسويقه كما ذكر في نص عن تقديم الملك نبو خنصر الثاني ( ٦٠٥ \_ ٥٦٢ ق م ) بعض قطعه عند اداء الطقوس الدينية، وقد عرف التين في العراق منذ العصر السومري القديم، فقد ورد في نص عثر عليه في تل حرمل (قرب بغداد) عن أنواع منها مثل تين الجبل وتين أكد وتين سوبارتو (٦٤).

أما التفاح فقد ورد الاشارة اليه في نصوص العصر الاكدي وأور الثالثة كما ذكر المشمش الذي عرف بتفاح الجبل مما يفهم انهم كانوا يجلبونه من المناطق الشمالية في العراق، كذلك اشير في النصوص الى السفرجل والأترج فضلا عن منتجات زراعية أخرى ذكرت في النصوص مثل الكمثري والرمان وذكر أنواع منه الحامض والحلو والعسلي وورد عن استعمال قشور الرمان في دباغة الجلود (٦٥) كما عرف العراقيون القدماء منتجات زراعية اخرى منها التوت والنبق منذ عصور مبكرة كما عرفوا اللفت والفجل والسلق والثوم والبصل والرشاد، فقد اشير في احد النصوص عن بعض البساتين في جنوب سنجار كانت تزرع فيها في العصور القديمة نحو ٢٤٠٠ شجرة فاكهة منوعة كما ذكر في مزرعة للبصل تصل مساحتها ٣٥٠٠ متر مربع مما يؤشر الى استعماله الواسع عند السكان انذاك كما زرع العراقيون القدماء البنجر (٦٦) والقصب الذي عرف بالسومرية gi وبالاكدي qanu فكان من اهم الموارد الطبيعية في القسم الجنوبي من العراق من مناطق الاهوار والمستنقعات وكان للقصب فوائد عدة اذ استعمل بوصفه مادة اساسية في بيوت السكن وصناعة القوارب بعد طليها بالقار وفي صناعة الاثاث والسلال كما استعمل في صناعة الحصران وكان يتم تسويق كميات كبيرة منه وفق ما ورد في مضامين النصوص (٦٧).

## جدول بالمكايل

المكايل التي استخدمت لقياس مقادير الحبوب وغللات المنتجات الزراعية الأخرى،.... استندت وحدات الكيل فيها الى المزج بين النظامين العشري والنسبي. وذلك على النحو الموضح في الجدول الآتي:-

ما يعادل ذلك بالمقاييس الحالية (لتر)	سيلا	بان	بي	كور	المعنى	الاسم السومرية والاكديية
٢٥٢.٦	٣٠٠	٣٠	٥	١	كور	GUR kurum
٥٠.٥٢	٦٠	٦	١		بي	PI maššitum
٨.٤٢	١٠	١			بان	BAN sumum
٠.٨٤٢	١				لتر	SILA qa
					٦ سوتو	BARIQA parkistu
(في آشور) حمولة حمار واحد مئة قا أو لتر						
imme immerum <sup>(٦٨)</sup>						



الخريطة (١) مواقع المدن القديمة والحديثة في العراق

## الهوامش:

1. King, Leonard, W.: A History of sumer and Akkad, London, 1916,p.6  
- الخلف، جاسم محمد: جغرافية العراق، القاهرة، ١٩٦٥، ط٣، ص ١٠٥.
- ٢- رشيد، فوزي: وسائط النقل المائية والبرية في العراق القديم، مجلة النفط والتنمية، العدد ٧-٨، السنة السادسة، ١٩٨١، ص ١٢٤.
- كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٠٢، ٢١  
ينظر التفاصيل ايضا الهاشمي، رضا جواد: الملاحاة النهرية في بلاد وادي الرافدين، سومر، المجلد ٣٧، ١٩٨١، ص ٢٧ وما بعدها.
3. Mortensen,peder: on the chronology Early village farming communities in northern Iraq, sumer,Vol.18,1962,74-80  
٤- حمود، حسين ظاهر: التجارة في العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الموصل، ١٩٩٥، ص ٣٥.
- 5- كسار، اكرم عبد: مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم، منذ اواخر الالف السادس ق.م حتى بداية النصف الثاني من الالف الخامس ق.م، سومر، المجلد ٤٥، ١٩٨٧ / ١٩٨٨، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.
- ٦- حمود: المصدر السابق، ص ٣٤.
7. Helback,hans:Early Hassuna vegetable At Es-sawwan Near samarra, sumer, vol. 20, 1964, p.47 -48،
8. Kirkbride, Daiana:Umm Dabaghiy ah 1972, Iraq, vol -35, no.1-2 1973, p.205 -209.
9. Mortensen: OP.cit,p.74 -80 .
- ١٠- اوتس، ديفيد وجون: نشوء الحضارة ترجمة لطفي الخوري، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٢، ص ٢٦١-٢٦٢.
- ١١- مهدي، علي محمد: دور المعبد في المجتمع العراقي في دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ١٦٥.
- ١٢- حمود: المصدر السابق، ص ٣٥ - ٣٦ - ٣٧.
- ١٣- المصدر نفسه، ص ٣٩.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ٣٩.
15. yaron,Reuve:the Laws of Eshnuna, 1969, p. 147,154
16. Driver G.R and Miles J.c, the Babylonion Laws,vol.1-2,1955,1960.  
- سليمان، عامر: القانون في العراق القديم، الموصل، ١٩٧٧.
17. Leemans,w.f: old Babylonion letters and Economic History, JESHo, vol.xI,part 2,1968,p.173-177.
- ١٨- الخلف، المصدر السابق، ص ١١٥، ١١٨، ١٢١.

١٩- المتولي، نواله احمد محمود: مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة غير المنشورة)، اطروحة دكتوراه منشورة جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص ٣١٧.

٢٠- المصدر نفسه، ص ٣١٧.

٢١- بوتس، دانيال تي: حضارة وادي الرافدين: الاسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، مراجعة: إسماعيل حجارة، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٩٧-١٠٢، احمد، سهيلة مجيد: صناعة الاغذية في العصور العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص ١١-٢٩.

٢٢- الاحمد، سامي سعيد: الزراعة والري، في حضارة العراق ج ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٥٣.

23. Leemans,w.f: the Old Babylonian Business Document from ur, Bi.Or,vol.xII,No.3-4,1955,p.115-121.

24. Ibid,p.112-115

- كانت المنتجات الزراعية الجيدة تأتي من الضواحي والقرى القريبة من المدن وان معظم الانتاج كان يتركز بين العوائل الفلاحية كما كانت هناك اراضي واسعة للقصر والمعبد ايضا.

- Snell,Daniel:life in the Ancient Near East, v.s. 1997,p.153.

٢٥- لقد كانت مدينة نمر (نيبور) من المدن المهمة في الانتاج الزراعي في العصر البابلي القديم كما كان لها انتاجها الزراعي المميز خلال عصر سلالة اور الثالثة وكانت لهذه المدينة علاقتها المميزة اقتصاديا مع مدينة اور في مجال التسويق وهو ما قاد الى انخفاض اسعار المنتجات الزراعية في مدينة اور بشكل خاص ، اذ علمنا ان مدينة اور كان لها دورها المميز كمحطة تجارية تتوسط القنوات المائية ومنها كانت تعبر معظم السفن على الطريق التجاري والملاحي Snell,Ibid,p.43

26. Snell,Ibid,p.134-

27. Leemans,w.f: legal and Administrative Documents of the Time of Hammurabi and Samsuiluna Leiden, 1960,p.60.

للمزيد من النصوص عن هذا الموضوع ينظر 1bid,p.80-81

28. Ibid,p. -84-

29. Dally, Stephan: Mari and Karana, London, 1984, p.84

30. Leemans,w.f:HammurapIs Babylon center of Trade, Administration and Justic, sumer, vol.xLI, No.1-2, p.93.

٣١- احمد: المصدر السابق، ص ١٧، ص ٢٤.

٣٢- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

٣٣- حمود: المصدر السابق، ص ٤٧.

٣٤- الزبياري، اكرم: نصوص من المتحف العراق " رسائل من العهد البابلي القديم " العدد الاول، بغداد، ١٩٦٤ ص ٩، الرقم ٢٨.

35. Leemans: Hammurapi's..op.cit,p.92

٣٦- المتولي: المصدر السابق، ص ٤٠٥-٤٠٦.

٣٧- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

٣٨- الراوي، فاروق ناصر: العلوم والمعارف في: حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص.٣٥٧.

٣٩- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٦.

٤٠- المتولي: المصدر السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

احمد: المصدر السابق، ص ١٩٦-١٩٧.

٤١- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٦.

المتولي: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

42. stol,M: state and private Business in the land of larsa, Jcs, vol. 34,No.3-4,1982,p.132-136

٤٣- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٧.

44. Leemans,w.f: legal and Economic Records from the kingdom of larsa, leiden, 1954,p.29

45. Leemans: Hammurapi's..op.cit,p.92

46. Ibid, p.92

47. lerberghs,k,van: The Role of the city of Babylon...in the old Babylonian period,sumer,vol.41,1985,p.108.

٤٨- احمد: المصدر السابق، ص ٨٤،٩٤.

٤٩- المصدر نفسه، ص ٦٩.

٥٠- حمود، المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.

٥١- المتولي: المصدر السابق، ص ٣٣٢.

احمد: المصدر السابق، ص ٧٥ - ٧٧.

٥٢- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٤.

٥٣- احمد: المصدر السابق، ص ٧٥-٨٠.

٥٤- حمود: المصدر السابق، ص ٤٩.

٥٥- بويتس: المصدر السابق، ص ٢٢٣.

٥٦- احمد: المصدر السابق، ص ٧٧.

٥٧- المصدر نفسه، ص ٩٥.

٥٨- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٥.

٥٩- المصدر نفسه، ص ١٦٥.

٦٠- احمد: المصدر السابق، ص ١٢٠-١٢١.

المتولي: المصدر السابق، ص ٣٤٣.

٦١- بوتس: المصدر السابق، ص ٢٢٥.

٦٢- حمود: المصدر السابق، ص ٥١.

63. Oppenheim: Letters from Mesopotamia, London, 1984,p.83.

٦٤- الاحمد: المصدر السابق، ص ١٦٥.

٦٥- المصدر نفسه، ١٦٦.

٦٦- المصدر نفسه، ص ١٦٥-١٦٦.

٦٧- المتولي: المصدر السابق، ص ٢٣٠، ص ٣٣١-٣٤١.

٦٨- رشيد فوزي، الشرائع العراقية القديمة، المصدر السابق، ص ٣٨.

٦٩- البدراني: عدنان مكّي، المدينة العراقية، في: حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٩١.